مغديد حاجي

من الأسر التي خدمت العلم والثقافة في كردستان :

اسرة جلي زاده

هناك اسر كردية عديدة اشتهرت في مناطق مختلفة من كردستان وحظيت باحترام ومحبة كبيرين من لدن الناس وذلك بسبب الخدمات الاجتماعية والعلمية الدينية والثقافية التي كانت تقدمها على مختلف الاصعدة وفي شتى المجالات.

وقد اقيمت مراكز علمية في كردستان وكانت هذه المدارس وفي جميع انحاء المنطقة، ترتبط بعضها ببعض، ومتصلة الحلقات بتجوال الطلاب الدائم، من مدرسة الى اخرى، بعيدة او قريبة كأنها جامعة ذات فروع. ومن ابرز هؤلاء العلماء والمؤرخين والشعراء الذين وقفوا مواهبهم العظيمة الممتازة على خدمة الثقافة والعلم : مولانا محمد الزرقي الصوفي وشمس الدين الشرانشبي ومولانا خضر الخيزاني والملا ابو بكر المظفر ومولانا عبدالله المشهور ب (ملاى سياه) وغيرهم من علماء القرن العاشر الهجري.

وفي كتاب تاريخ العراق بين الاحتلالين للمرحوم عباس العزاوي تطالعنا اسماء عشرات الاعلام من الكرد. ففي الجزء الخامس الذي يخص الفترة (1639 — 1750 م) نقرأ في موضوع الثقافة اسماء هؤلاء الاعلام : (1— الياس الكردي 2— الملا محمد شريف الگوراني 3— ابراهيم بن حسن الگوراني (ت : 1101هـ) 4— السيد محمد رسول البرزنجي (ت1103 هـ) 5—آل الربتكي ومنهم عبدالله رأس الاسرة وابنه عبدالغفور.

وفي الجزء السابع من (تاريخ العراق بين الاحتلالين) والخاص بالعهد العثماني الثالث (1831 — 1872 م) يذكر المؤرخ الفقيد العزاوي ان هذا العهد يعد بحق عهد اغفال واهمال ولكن المثقفين قاموا بالمهمة وذلك بدفع عجلة الثقافة الى أمام ونهضوا بما لديهم من علم وأدب، ثم يذكر علماء هذه الحقبة من بينهم هؤلاء الاعلام من الكرد :

1— محمد امين الزند 2— محمد فيضي الزهاوي، ولى الافتاء بعد الاستاذ محمد امين الزند وآل الزهاوي وأولاده واحفاده بينهم نوابغ وشعراء 3— آل الحيدري، عرف منهم في هذا العهد صبغة الله الحيدري الثاني وكان مفتى الشافعية في بغداد وابنه ابراهيم فصيح الحيدري ومنهم محمد امين بن عبيد الله الحيدري 4— آل الروژبياني.

وفي الجزء الثامن من (تاريخ العراق بين الاحتلالين) والذي يخص الفترة (1872 — 1917 م) أي العهد العثماني الأخير نجد انه مما يميز هذا العهد ظهور المدارس العلمية فيه والتي كانت أساس نهضتنا الثقافية، وهي العنصر المهم في ظهور العلماء وزيادة عدد المتعلمين وتخريج الموظفين وسائر صنوف المعرفة، فقد ظهر علماء كثيرون وأدباء عديدون، وغالب علمائنا أدباء وأساتذة. ومن الاسر العلمية الكردية في هذه الفترة يكرر المؤلف اسم الزهاوي والحيدري اضافة الى 1— الشيخ طه السنوي

2— حسين البشدري 3— عبدالرحمن القرداغي

4— السيد محمود البرزنجي 5— الشيخ رضا الطالباني

وتعد اسرة الجلي (جه لى زاده) في كويسنجق والتي ساهمت بجد ونشاط في نشر العلم والثقافة في كردستان علمة وفي منطقة كويسنجق بصورة خاصة منذ ما يقارب من ثلاثمائة سنة [2] وانحدر منها العالم والشاعر المعروف الملا محمد الكويى (الملا الكبير)، والذي اشتهر ايضاً بلقب (جه لى زاده) ومن اشهر تلك الأسر التي نشرت العلم والثقافة في تلك المنطقة.

سلسلة علماء (آل جلي) صعودا من الملا محمد الكويى :

محمد بن عبدالله، بن اسعد، بن عبدالله ـ الواثق بالله خليفة مولانا خالد ـ، بن عبدالرحمن، بن عبدالله ـ كاكى جلي ـ بن محمد، بن ابراهيم بن حسن، بن ميرزا بن ابي بحر بن ابراهيم. جدهم الاكبر (ابراهيم ـ الشيخ البراهيم الجزيري هاجر من (جزيرو بوتان) مع اسلاف (الميراودليين) في ارجح الاقوال وسكن قرية (بيّكه لاس) في سفوح جبال پشدر : وتسلسل من ابنائه واحفاده كل من ابي بكر وميرزا وحسن من سكنى (بيّكه لاس) ثم انتقل حفيد حفيده محمد الى قرية (شيواشان) في سفح جبل (كوّسره ت) بقضاء رانية وسمي (مه لا زاده ى شيواشان) واشتهر بتقواه الشديد واعتكافه في بعض كهوف (كوّسره ت) والكهف هذا موجود ويسمىٰ الآن ب (ئه شكه فتى مه لا زاده ـ كهف آل الملا). وانتقل ابنه الاكبر عبدالله الى قرية (جه لي) ومنها ورد لقب (جه لى زاده) [3]، وسمّي هو بـ (كاكى جه لى) كذلك ابنه الاكبر عبدالرحمن الذي قضى صدر حياته في القرية المذكورة وانتقل بعد ذلك الى كويسنجق بتكليف من عبدالرحمن پاشا البابانى. ويبدو ان انتقاله هذا كان قُبيل سنة 1211 الهجرية الموافقة لسنة 1796 الميلادية ويظهر ذلك من التاريخ المدون على كتاب (صحيح البخاري) المستنسخ في تلك السنة وقد وقفه عليه عبدالرحمن پاشا وكانت كتابته من أجل وقفه عليه بالذات ولم يكن مكتوبا متداولاً قبل ذلك في المنطقة.

ويظهر من ذلك ان أول من سمى بـ (كاكى جه لى) هو عبدالله والد عبدالرحمن الذي سمي بدوره بـ (كاكى جه لى) ولزمه اللقب بعد انتقاله الى كويسنجق.

اننا نعلم سنة ولادة عبدالله كاكى جلي وهي (1116 هـ) ولا نعلم سنة وفاته ونعلم سنة وفاة عبدالرحمن كاكى جلي وهي (1217 هـ) ولا نعلم سنة ولادته [4]. ومن هذه التواريخ يظهر أن اشتغال هذه الأسرة بالعلم من ايام (مه لا زاده ى شيواشان) حتى يومنا هذا يربو على 300 سنة فاذا اضيفت اليها سنوات (بيّكه لاس) جاوز مجموع المدتين اربعة قرون. وكان اسلافهم في (جزيرو بوتان) ايضاً من العلماء ولكن لانعرف تفصيل امرهم.

والمعروف عن طلاب العلم في كردستان انهم كانوا يفضلون تلقي العلوم الدينية على ايدي ذوي الالمام بالأدب والشعر والمتبحرين في العلوم الدينية. وإنَّ العلماء الجليين ونخص بالذكر منهم الملا عبدالله الجلي الجد الاكبر للملا محمد الكويى والحاج الملا عبدالله والد الملا محمد والملا محمد نفسه (الملا الكبير) يعدون من بين العلماء الشعراء المشهورين في كردستان.

والجدير بالذكر إن عبدالرحمن الجلي المعروف ب (كاكي جلي) هو إبن الملا عبدالله رأس اسرة جلي زاده في كويسنجق، وكان واحداً من أبرز علماء الكرد في عصره، وكان قد انتقل الى كوي بطلب من عبدالرحمن باشا بابان الذي هيأ له كل مايحتاج اليه في كوي. وقصد مولانا خالد بنية التتلمذ عليه ولكنه كان في مرض موته، فشد رحاله الى إبن آدم وكان (الجلي) صديقاً حميماً لأبن آدم. وله كتاب اسمه : (تحفة الطلاب في حل خلاصة الحساب) والخلاصة للبهاء العاملي، ونسخة من التحفة في خزانة الأوقاف في بغداد من كتب السيد نعمان خير الدين الآلوسي كتبها سنة (1186 هـ/ 1772 م). والمشهور ان حواشي عبدالرحمن الجلي مجموعة بخط الملا اسعد خادم السجادة وموجودة في مكتبة هذه الاسرة بكركوك [5]. وتوفي عبدالرحمن الجلي في سنة 1802م.

واستناداً الى المستمسكات المكتوبة لأسرة الجلي فأن الحاج الملا عبدالله بن الملا عبدالرحمن الجلي بعد أن اصبح احد خلفاء مولانا خالد النقشبندي وحصل على اجازة الارشاد ومكوثه مدة ستة اشهر في خانقا ـ مدرسة ـ مولانا في السليمانية عاد الى مدينة كويسنجق ليبدأ فيها بالتدريس وارشاد المؤمنين في مدرسته الخاصة. ورغم انتشار مرض الطاعون في ذلك الوقت لم يتوقف الحاج الملا عبدالله عن مجالسه وندواته التي كان يوجه عبرها النصائح والارشادات الى الناس [6].

وللحاج الملا عبدالله الجلي المتوفي سنة (1246هـ/ 1830م) مؤلفات وآثار علمية عديدة منها [7] :

1— حواشيه على القسطلاني شرح البخاري.
2— حواشيه على (انسان العيون).
3— حواشيه على (جامع الاصول) لأبن الأثير.

4– كتاب شعري حول سيرة الرسول (ص) بعنوان:
(وسيلة الوصول لساحة عناية الرسول).
5– كتاب حول علوم القرآن.

وان من جملة المخطوطات التي استنسخت لمكتبة عبدالرحمن باشا احد امراء بابان وهي مخطوطة (صحيح البخارى). واستنسخ هذا الكتاب المخطوط الثمين سنة (1211هـ/ 1797م) من قبل محمد ابن الشيخ يوسف ابن الشيخ مولان ابن الشيخ عمر اولاد ويسي القرني بخط جميل ويظهر عليه ختم عبدالرحمن باشا من موقعين مختلفين.

وقد وقف عبدالرحمن باشا هذا الكتاب على اسرة جلي زاده في كويسنجق ومن بعدهم على علماء كردستان [9].

ويأتي وقف هذا الكتاب من قبل احد امراء بابان على الملا عبدالرحمن الجلي اعترافا بموقع ودور هذا العالم الديني واسرته في نشر الثقافة والعلم هذا كردستان وحبهم وتقديرهم للكتب والمؤلفات العلمية. وننشر هنا اقتباساً من كتاب (حاجي قادرى كۆيى) لمؤلفه الاستاذ مسعود محمد، ماجاء في رسالة الوقف (وه قفنامه) المشار اليها [9]:

[فها انا وقفت ذلك الكتاب وقفاً صحيحاً شرعياً على العالم الرباني والعارف الصمداني الملا عبدالرحمن الجلي ثم على أولاده الذكور الأفقه فالأفقه ماتناسلوا بطنا بعد بطن ثم على أولاد اخوته الأعلم ماتوالدوا ثم على عشيرته الاعلمين ثم على العلماء الذين كانوا في ناحية كردستان من الموصل الى بغداد وسنندج وجعلت ثوابه هدية وتحفة لضريح افضل الكائنات وخلاصة الموجودات عليه افضل الصلوات واكمل التحيات رجاء ان يشفع لي يوم العرصات وجعلت مثل ثوابه تحفة لروحي والدي واخي المرحومين انا الراجي عفو ربه الكريم].

عبدالرحمن باشا

ختم

وكان الحاج ملا عبدالله الجلي والد الملا محمد الكويي 1250هـ/ 1326م ـ 1326هـ/ 1908م) احد ابناء هذه الاسرة علما دينياً مشهوراً وشاعراً مقتدراً وعُرِفَ ببلاغته وفصاحة لسانه وعالماً لأفانين الشعر المختلفة وله في شعابه قصائد رائعة ومشهورة.

وفي رسالة شعرية بعثها الشاعر حاجي قادر الكويى اليه من استنبول تعبير صادق عن الدور البارز الذي لعبته اسرة جلي زاده في نشر وترسيخ الثقافة في كردستان

ويذكره بجولتهما المشتركة الى منطقتي (باله ك) وكردستان ايران..

به بيرت دێ زه مانێ چووينه با , له ك
به پێ خاوسى نه كه وشم بوو نه كا , له ك

به غه يرى جه دى ئێوه كيهه دانا
له كوردستان ئه ساسى عيلمى دانا [10]
اتذكر زمن سفرنا الى منطقة (باله ك)
حافي القدمين لا املك حذاءً ولا كاله [11]
من غير جدكم، من هو العلامة الذي
أرسى أساس العلم في كردستان ؟!

وعن شاعرية صديقه السابق وزميله الحاج ملا عبدالله الجلي ومقدرته اللغوية وفصاحة لسانه اضاف حاجي قادر في رسالته الشعرية هذه قائلاً :

له مه يدانى فه ساحه ت تۆ مجلى
حه ريرى تاليه و سه عدى مصلى
في ميدان الفصاحة انت المجلي [12]
ويليكم الحريري وسعدي المصلي [13]

ونورد ادناه بعض الأبيات من قصيدة حب كتبها الشاعر الحاج ملا عبدالله لمحبوبته حليمة ..

كه بێرى هاته ناو مێگه ل سه راسه ر قرمزي پۆشى
مه لا ادراكي چوو شێخيش طريق، عارف نه ما هۆشى
حه بيب ديتى ره قيب وه ستاوه چاروكه ى به رۆو دادا
گوتم هه ورى سيا هات شه عشه عه ى خورشيدى داپۆشى [14]

حين وافت الحالبة قطيع الغنم مسربلة بالقرمز
ذهب من الملا ادراكه ومن الشيخ طريقه ومن العارف عقله
ولما رات الحبيبة العذول قائماً ارخت على محياها الحجاب
فقلت غمامة سوداء اخفت ضياء شمس مشرقه

وقد نبغ كل من حاجي قادر الكويى والحاج ملا عبدالله الجلي في مجال الشعر الكردي وفاقا شعراء المنطقة المحصورة بين نهري بادينان (الزاب الاعلى) وكويسنجق (الزاب الاسفل).

فبالاضافة الى مقدرتهما وابداعهما يرجع سبب تفوقهما وتفوق مدينة كويسنجق في الميادين العلمية والثقافية والاجتماعية في رأى بعض الباحثين الى تقدم مدينة كويسنجق في ميدان التحولات التاريخية والاجتماعية على بقية المناطق، وفي الاساس الى الوضع الاقتصادي الجيد نسبياً الذي كان يتمتع به قضاء كويسنجق.

وارتبط الحاج ملا عبدالله الجلي بعلاقات زمالة وصداقة مع كل من الشاعر الكردي (نالى) والعالمين الدينيين المشهورين الشيخ عمر بياره وكاك احمد الشيخ حيث التقى بهما وتعارف معهما في الحضرة الگيلانية ببغداد. وفي بغداد ايضاً كان لقاؤه بالعلامة محمد فيضي الزهاوي مفتى بغداد وكان يكن له الحب والاحترام.

وفي كتاب (التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية ..) ابدى الكاتب الكردي الراحل العلامة محمد القزلجي المتوفي سنة 1959 في بغداد رأيه واعجابه بأسرة الجلي وابنها الملا محمد الكويى، فكتب يقول : [الجليون سادة أماجد اسرة فضل انجبوا اكابر العلماء، معروفون بغزارة العلم، تآليفهم مشهورة معروفة ومنهم عصرينا العلامة الملا محمد الجلي المدرس اليوم في كويسنجق [15].

ولد الملا محمد الكويى الابن البارز لأسرة جلي زاده سنة (1293هـ/ 1876م) في مدينة كويسنجق توفيت والدته (عائشة بنت الحاج بكر آغا الحويزي) وعمره لم يتجاوز الخمس سنوات. وعني والده عناية كبيرة برعايته وتربيته ووجد فيه الذكاء والفطنة وحب العلم والأدب منذ الصغر وبدأ بتعليمه القراءة والكتابة في سن مبكرة. واكمل الشاب الذكي تحصيله ودراسته العلمية قبل بلوغه سن العشرين. وحصل عند ذلك على اجازة التدريس من والده.

وبسبب ذكائه ومقدرته العلمية والادبية تولى بعد تخرجه تدريس عدد من اساتذته السابقين واوكل اليه والده الكثير من شؤونه الدينية وبدأ الملا محمد العالم الشاب يمنح الاجازات العلمية لرجال الدين. وانتقل اليه (بعد وفاة والده وتعمقه في العلوم الدينية وبروز مكانته الاجتماعية سنة (1326هـ/ 1907 — 1908م)) لقب رئيس العلماء وبدأ الناس يسمونه بالملا الكبير (مه لاى گه وره).

خلال سني حياته المليئة بالنضال والمثابرة والابداع استطاع الملا محمد الكويى ان يؤلف مجموعة من الكتب والرسائل العلمية والأدبية باللغتين العربية والكردية، فقد ألّفَ باللغة العربية الكتب والرسائل العلمية التالية [16] :ـ

1— المصقول في علم الاصول (مطبوع).
2— الكلام الجديد (مخطوط).
3— القائد في العقائد (مخطوط).
4— ابهى المآرب في اثبات الواجب (مخطوط).
5— كشف الاستار في مسألة الاختيار (مخطوط).
6— الألّه والطبيعة والعقل والنبوة (مخطوط).
7— ضياعان عظيمان (مخطوط).
8— المشاهد على طراز المقاصد والمواقف (مخطوط).
9— رسالة في حقيقة الاسلام واخرى في حقيقة الايمان (مخطوط).
10— المعجزات والكرامات (مخطوط).
11— الاشخاص الستة (مخطوط).
12— الحدس سلم الارتقاء (مخطوط).
13— خراب العالم (مخطوط).
14— غايتي وأملي في علمي وعملي (مخطوط).

ومن مؤلفاته باللغة الكردية هي :

1— (ديارى مه لا محه مه دى كويى) (ديوان شعره) وصدرت الطبعة الرابعة منه سنة 1969 في مطبعة كردستان.
2— (ته فسيرى قورئان) تفسير القرآن، طبع منه لحد الآن ثلاثة اجزاء من قبل كريمته نجيبة خانم.
3— (عقيده ى ئيسلام) (لم يطبع).
4— نوىّ كه ره وه، لم يطبع.
5— (حيكايه ت، خه ون، كه رامه ت) (لم يطبع)
6— (فرِى فرِى قه ل فرِى)، طارطار طار الغراب (مطبوع).

ونتيجة لجهوده المتواصلة في مجالات متعددة ومتابعاته المستمرة .. أصبح الملا محمد يمتلك فكراً نيراً وثقافة واسعة. وهو واحد من ابرز رواد الثقافة الكردية وداعية عظيم في مناصرة حقوق المرأة ومناضل صلب في ميادين الشؤون الاجتماعية والقومية والانسانية.

توفي الملا محمد الكويى بتاريخ 12 — 10 — 1943 في مدينة كويسنجق. واحدثت وفاته صدىً والماً كبيرين في انحاء مختلفة من كردستان .. ويصادف هذا العام (1983) ذكرى مرور اربعين عاماً لرحيله ويجدر بنا أن نحيى ذكرىٰ هذا الانسان الذي صقلته الحياة.

المصادر والهوامش :

(1) ابراهيم باجلان، جريدة العراق، العدد 1745 في 5—11 — 1981
(2) مجلة گه لاويژ)، العدد (11) السنة الخامسة 1944 ص.
(3) جلي : قرية صغيرة وجميلة تقع على الجهة الشرقية من سفح جبل (آوه گرد) الواقع في شمال مدينة كويسنجق. وقد حظي كل من الملا عبدالله وابنه الاكبر الملا عبدالرحمن بمحبة واحترام الناس بسبب خدماتهما في مجالي الثقافة والعلوم الدينية لذا لقبا ب:(كاكى جه لى).

وان هذا اللقب مقصور على الرؤساء الدينيين في ثلاث قرىٰ فيقال (كاكى زيوّه، كاكى جه لى و كاكى هيرانىّ). وهنا يجب الاشارة الى ان لفظة (كاك) العادية والمتداولة على نطاق واسع في اللغة الكردية تختلف عن مضمون مصطلح (كاك) المشار اليه في مقالنا هذا، حيث تستعمل لفظة (كاك) الاعتيادية من قبل بعض اكراد لغرض احترام المقابل عند مكالمته او التحدث اليه، فـ(كاك محمد) تعني الاخ محمد او الأخ الكبير محمد او السيد محمد وهكذا، في حين يستعمل اكراد بهدينان (كردستان الشمالية) كلمة (سيدا) واكراد ايران كلمة (آغاى) للغرض نفسه.

٤) تفضل الاستاذ مسعود محمد نجل الملا محمد الكويى احد ابناء اسرة جلي زاده، بتزويدى بهذه المعلومات في لقاء خاص معه في داره ببغداد بتاريخ 7—2—1982

(5) زبير بلال اسماعيل، من أعلام الكرد، مجلة الحكم الذاتي العدد 1 لسنة 1983، ص46.
(6) الملا عبدالكريم المدرس، تذكار الرجال (يادى مه ردان) الجزء الاول، بغداد 1979، ص93.
(7) المصدر السابق.
(8) مجلة المجمع العلمي الكردي، العدد الأول 1973 ص 382 — 384.
(9) مسعود محمد (حاجي قادري كوّيى) الجزء الأول بغداد 1973،ص: 257 — 260.
(10) ممتاز الحيدري، (مه لاى گه وره) الملا محمد الكويى اربيل 1975،ص: 16.
(11) كاله: عبارة عن قطعة من جلد المواشى تغطي القدم وتربط بشريط.
(12) المجلي: الحصان الاول في حلبة سباق الخيل.
(13) المصلي: الحصان الثالث في ترتيب سباق الخيل ويقصد ب(تالي) الحصان الثاني في ترتيب سباق الخيل.

ونستدل من هذا البيت أن حاجي قادر الكويى قد وضع زميله الحاج الملا عبدالله الجلي في ميدان الفصاحة في مقدمة القافلة الأدبية ويليه علي الحريري الذي كان من اشهر شعراء الاكراد القدماء وانبغهم في منطقة شمدينان، عاش بين (400 — 471) الهجرية وكان معاصراً للفردوسي صاحب الشاهنامه. أو يُقصَدْ بالحريري صاحب المقامات العربية الشهيرة، ثم يليهما سعدي الشيرازي.

(14) كريم شاره زا، (كوّيه و شاعيرانى ـ كويسنجق وشعراؤها) الجزء الأول، بغداد 1962، ص: 32.
(15) الملا محمد القزلجي، التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية ..، بغداد 1938، ص: 34.
(16) مغديد حاجي، صفحات من حياة الملا محمد الكويى ولمحات عن شعره، كتاب مخطوط.